

**(جامع التوبة) في عقبة دمشق****ثاني جامع يُبنى على نسق الأموي بعد الحنابلة**

الباحثة نبيلة القوصي

إخوتي القراء:

قال النبي صلى الله عليه و سلم : ( من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله في الجنة)

بنسائم حديث المصطفى نمضي معاً ، و من بين أزقة دمشق المباركة نسير خارج السور جنوب مقبرة الفراديس، و من حي العقبية الأصيل بتاريخه ، و الذي اشتهر بتخرجه خيرة العباد لأرض الشام التي امتدحها سيد الكون، نمضي و إياكم بين أزقة قديمة تنبعث منها نسيمات روحانية رائعة تلامس شغاف القلب ، تحرك ألسنتنا داعية لمن سار و مضى و أصبح من السلف الصالح و ذكره و أثره ما يزال يدل عليه بأعماله الطيبة، فتعالوا نصغي لقصة جامع عُرف باسم (جامع التوبة)، نتساءل عن سبب التسمية و من الذي بناه ؟ و خير إجابة نبدوها من أقوال المؤرخين الدمشقيين، فماذا قال السلف عنه ؟

قال النعمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس):

"بالعقبة": قال ابن شداد أنشأه الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب في سنة 632 هجري، و كان يُعرف قديماً بجان الزنجاري، وكان به كل مكروه من القيان وغيره، وولي خطابته علماء أجلاء، والذين أنشدوا الملك الأشرف منهم من قائلاً :

يا مليكا قد أقام العدل فينا و أبانه

قال قل للملك الأشرف اعلا الله شأنه

كم إلى كم أنا في ذل و بؤس و إهانة

و الذي قد كان من قبل يعني بجفانه

ثم قال ابن شداد: ثم ولي خطابته و نظره الشيخ بدر الدين يحيى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، و جدّد قبلته و محرابه و ذهبه، و بيّض اساطينه البرانية و أورقته الشمالية، و صانه أتم صيانة، و جدد له ربعاً و وقفه عليه، و فوض إليه ذلك الامام فخر الدين بن حمويه في الأيام الصالحة النجمية، و تولاه بعده اخوته ، و هو بأيديهم إلى الآن. انتهى".

و قال ابن عبد الهادي في كتابه ( ثمار المقاصد في ذكر المساجد):

"مسجد التوبة خارج باب الفراديس"، و ذكر في حاشية الكتاب أن الملك الأشرف خرب الخان الزنجاري الذي كان فيه خواطئ و خمور، و أمر ببناء جامع مكانه سمي بالتوبة، وكذلك قال ابن خلكان في ترجمة الملك الأشرف موسى رحمه الله.

و قال الريحاني رحمه الله:

جامع التوبة يقع في محلة العقبية، وهو الجامع الثاني الذي بني على نسق الجامع الأموي، شيده الملك الأشرف موسى بن العادل أبي بكر سنة 631 هجري / 1233 ميلادي.

وهكذا كان من سبب التسمية ب (جامع التوبة) لأن مكانه كان خاناً للمنكرات، وقد جعل الأشرف من هيكله شبيه بالأموي تيمناً به ليكون كمرکز علمي ديني يواكب النهضة العلمية في دمشق، و قد كان ولا زال متألقاً يسمو بالرغم من تعرض الجامع لعوارض الزمان من هدم على يد التتر أو حرق ، لكنه لا يزال قائماً بجدرانته و لتبقى آثاره القديمة الأيوبية المملوكية تذكراً بتوالي العصور عليه و لا زالت الصلوات المفروضة و الجمعة معقودة قائمة لم تتوقف منذ ذاك الزمان ! فقد تعاهد الطيبون الصالحون على إرساء معالم منهج النبوة المحمدي، فجزاك الله عنا خيراً أيها الملك الأشرف موسى، و كذاك أجرك عند الله عز و جل ما زال يصلك إلى أن تقوم الساعة.

و هذه هي مدينة دمشق المباركة ، توظف الغافل و تُرشد الضالّ بدفء أرواح عشقت أحاديث المصطفى عن الشام ، فتفاعلت نفوسهم و قلوبهم بجهادٍ مقدّس ، يطمح لعمارة الأرض بما يجب المولى و يرضى، ليكونوا ممن قال عنهم خير أمة أخرجت للناس، هلاً أبصرنا ؟

اللهم اجعلنا خير خلف لخير سلف، نتجول بين أروقة هذا الجامع و نتأمل كيف يكاد يواكب الأموي في مخططه، و أن الحمد لله أنّ حلقات العلم الشرعي تنشط باستمرار في الجامع ، بهمة و إرادة لا تفتقر ، ولا زال يؤمّه علماء أجلاء يرسخون معالم المنهج المحمدي، فجزاهم المولى عنا خير جزاء.

### المصادر و المراجع:

. الدارس في تاريخ المدارس / لعبد القادر النعيمي

. ثمار المقاصد في ذكر المساجد / ليوسف ابن عبد الهادي

. العمارة العربية الإسلامية / لعبد القادر الريحاوي

